الأهرام

١٩٧٥/٢/٦

وجهة نظر

عندما ينطفىء كوكب . .

..... يستمر اشعاعه في كبد السماوات زمانا يطول بقدر ابعاد الكوكب في الفضاء سنوات ضوء ! وذلك ما نرجوه لفن ام كلثوم . وصوتها الصادح هي في تسجيلات كهربائية هي اكمل ما حققه فناو التسجيل في بلادنا . على احدث آلاته .

وقد يرى من تطورات قدرات استنعابهم لموسيقى الحضارة ان ام كلثوم وقفت سدا منيعا نحو انفتاح الموسيقى العربية على الفن الذى ارتقى به عباقرة الدهور الى ابلغ مراتب التعبير . حين استطاعت الالات دون الصوت الادمي ان تفصح عن اعماق احاسيس لاتبلغها الكلمة المغناة .

ونظرة على ماضي الموسيقى المصرية في النصف الاول للقرن العشرين ، وعلى مطالع كوكب الشرق تكشف لنا عن ان ام كلثوم قطعت اشواطها الفنية في حدود فن مصري عميق تمتد جذوره الى ازمنة غابرة . لقد تاثر فن المصريين القدامى — الذى مازالت اصداؤه تتجاوب في الحان الكنيسة القبطية — بالحان بيزنطة ، فموسيقى العرب . وهؤلاء جددوا وارتقوا بفنهم البدائي في حضارة الفرس ، وكان للفرس القدح المعلى في انتشار الموسيقى الاسلامية الى آخر حدود الهند في الشمال . وعلى امتداد امبراطورية آل عثمان .

رايت الفقيدة التي لانعوض . وسمعتها لاول مرة بقاعة من قاعات شارع عماد الدين . في اوائل العشرينات ! ربيبة وسيمة . منال الحشمة الاسلامية ، تقف بين ثوبها في لباس رجل بدوى ، وتردد اقرب الالحان الى عتاقة الموسيقى المصرية ، مما تعرفه من الاناشيد الدينية ، تؤديها المجموعة ، ويرتفع عنها الصوت الملائكي تتداعى فيه اصوات الشعب المصري المتدين الاصيل .

واستقبلت مدرستنا الحديثة ، صديقا وعلما من اعلامها : الشاعر احمد رامي لدى عودته من فرنسا دارسا للغة الفرس وآدابهم . وقص علينا بتصوير شاعري جميل لقاءه الاول مع ام كلثوم ، وهو يسألها ان تغني له قصيدته . وكان فنها قد تطور وتعاصر ، وهي التي نشأت على تجويد القرآن الكريم ، والاناشيد الدينية . وان لم يتح لها ما اتيح للمطرب الرجل : القيام على الاذان ..

انها تمثل في نهوضها وارتقائها آخر ما يبلغه الفن المصري العربي الفارسي العثماني ... وليست هذه قط صورة من الرجعية . لان ام كلثوم ، عاما بعد عام لم تعرف التراجع ، وفنها لم يتوقف حتى آخر الشوط الذى تحدده حياة الفرد . ما اكثر ماتحدثت في ندوات الحضارة الغربية عن حرصنا في مصر على الاحتفاظ بتراثنا الموسيقي صافيا ، محدد الطرائق والوسائل ، بحيث يقف معهد الموسيقى العربية باكاديمية الفنون في محاذاة الكونسرفتوار .

فان يعود فضل الحفاظ على قوميتنا الموسيقية ، والارتفاع بها الى اوسع واعمق واحلى وسائل التعبير بالصوت الى فقيدة الفن العربي ام كلثوم فذلك ماوعاه الشعب العربي باسره . وكانت ام كلثوم فيه علما على مصر الفنية بعلمائها وادبائها وفنانيها ، نموذجا يحتذى ودربا يسير عليه العالم العربي باسره. هذه ، والله ، مأثرة المآثر للفقيدة خالدة الذكر .

د. حسين فوزى

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية